مقدمة

يقتضي الوصف الإسلامي لموضوع هذا الكتاب أن نبدأ بما بدأ به الله تعالى وحيه وهو العلم، وبما وصف به نفسه الملك القدوس السلام. ودينه دين السلام لكل العالم.

وكان طبيعيا أن تتضمن بعض دساتير الدول الإسلامية أن الإسلام دين الدولة، وأن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، وأن يتتابع رؤساء الجمهورية في مصر على التذكير بهذه الخصيصة كمعلم من معالمها، ويرسم الرئيس جمال عبد الناصر في كتاب (فلسفة الثورة) صورة دوائر لسياسة الدولة مصرية وعربية وإفريقية وإسلامية، ثم يقدم كتاب العدالة الاجتماعية وحقوق الفرد سنة ١٩٥٤، ويقول: "إن الحل الأول لمشكلة الفرد والجماعة قد جاء به الإسلام".

"ونقف – نحن العرب والمسلمين – في هذا الجانب من العالم نشهد الصراع الذي يدور بين هذه المذاهب المادية والمبتدعة، ونرقب المعارك الناشبة بين الشعوب وحكوماتها حول تلك المذاهب، فنعجب أشد العجب، لأن مشكلة الفرد والجماعة التي حيرت بال المفكرين والفلاسفة في أوربا من قرنين أو قرون، قد وجدت الحل الصحيح في بلادنا من ألف وثلاثمائة سنة، منذ نزل القرآن على محمد بن عبد الله يدعو إلى الأخوة الإنسانية، ويفصل مبادئ العدالة الاجتماعية على أساس من التراحم والتكافل الأخوي، والإيثار على النفس في سبيل النفع العام للجماعة من غير طغيان على حرية الفرد، ولا إذلال له ولا إنكار لذاتيته ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)**﴾[١].

"فليكتف المفكرون بما بذلوا من جهد ولا يبحثوا عن حلول أخرى لمشكلة الفرد والمجتمع.

"إن عندنا الحل – الحل الأول – الذي نزل به الوحي على نبينا منذ ألف وثلاثمائة سنة، هو الحل الأخير لمشكلة الإنسانية".

وعندما حاولت جيوش إنجلترا وفرنسا وإسرائيل غزو مصر سنة ١٩٥٦، رأيناه يستنهض الأمة للحرب وهو على منبر الأزهر الشريف.

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٠.

وفي عام ١٩٧١ أصدر الرئيس السادات دستور مصر الحالي، وفي النص الأول منه أن مصر جمهورية عربية، والشعب المصري جزء من الأمة العربية يعمل لوحدتها الشاملة، وفي نص المادة الثانية أن الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية ومبادئ الشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع، ثم ازداد النص توكيدا بتعديل دستوري جرى عليه استفتاء عام للأمة جعل الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي.

والرئيس حسني مبارك دائب على استنهاض قوى الأمة وتعميق رقعة التربية الدينية، والتمكين للغة العربية وإصلاح أحوال التعليم والمعلمين، وهو حرص على الإسلام يتكرر إعلانه في الكثير من المناسبات العامة والخاصة، ومن ذلك قوله لأعضاء مؤتمر الدول الإسلامية سنة ١٩٩٤ وفيهم ملوك الدول ورؤساؤها ووزراؤها وممثلوها، وقد نيفت على خمسين دولة: "إن التحديات أمامنا خطيرة، والمسئولية التي نحملها جسيمة، غير أننا لا نملك أن نفرط في أداء هذا الواجب وحمل الأمانة في سبيل الله والأمة، لا نملك إلا أن نتقدم الصفوف، ونتصدر الركب ونتحمل المسئولية حتى نسلم الراية إلى الأجيال القادمة عالية خفاقه، تنحني أمامها أعتى الجباه.

لا نملك سوى أن ننصر الإسلام ونذود عنه في مواجهة هذه الأخطار المحدقة من الداخل والخارج، فهو سندنا وملاذنا وهو عقيدتنا الخالدة، وهو نبع حضارتنا، لا نملك إلا أن نعمل ما ملكت أيماننا لتحويل الفرقة إلى وحدة، والتنازع إلى توافق وتضامن، والتناحر إلى تعاون وتكامل ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ** ﴾.

***

ويقتضي الوصف الإسلامي لموضوع هذا الكتاب أن نتأخى المنهج القرآني الذي قعدته أصول الفقه وصيرها العلماء أصولا للفكر. فأفادت الدراسات كل الفائدة من استقراء الواقع والاستنباط منه على مدى قرون خمسة عشر، وعلى وجه كرة الأرض حيث الحرية والمساواة والعدالة وطن للجميع من مسلمين ومسيحيين ويهود، ولكل منهم في وطنه، نصيب، وبازدهار الحضارة ازدهرت الصناعة والزراعة والتجارة، حتى بلغت أقصى الأرض ما بين المحيطين الهادي والأطلسي أي شرق آسيا وغرب أوربة وفي أفريقية، وما تزال ساطعة الأضواء في كل الأرجاء لم تنل منها مائتا عام من تجييش "الصليبيين" جيوشهم إلى أرض الإسلام لاقتلاعه من جذوره من قرون تسعة مضت، كما لا تنال منها ترهاتهم في هذه الأيام.

وعلى هذا كانت "تطبيقات" الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وتطبيقات الأئمة من بعده هي المادة الأولى للكتاب الحالي، والاقتصاد في الإسلام كالتجارة عمل وسلوك نبيل دخلت بهما كثرة الأمم في الإسلام.

وكذلك كانت الأبواب الواردة في الجزء الأول من هذا الكتاب أبوابا تبادرنا بها إلى الجواب في موضوعه.

فالأول: خاص بالعلم والسلام لكل العالم وبالاقتصاد الإسلامي.

والثاني: بعنوان بين العقيدة والتطبيق الدقيق.

والثالث: خاص بحرية السوق وسعر السوق وتدفق السلع.

والرابع: خاص بالتجارة الخارجية وبالربا.

وأجلنا إلى الجزء الثاني خصائص الإسلام التي أبلغت ازدهار المسلمين أوجه، والرسالة الإسلامية رسالة للبشر كافة، والزمان كله في خدمتها، والله تبارك وتعالى قد وعد بنصرها على الذين كله، والمسلمون من دينهم على يقين.

***

وفي الجزء الثاني جمعنا بين بابين هما الأول والثاني ليرى القارئ أسباب السمو ثم أسباب الهبوط، ويرى الأسباب الأخيرة مسلطة عليه ليرجع القهقرى في خصائص مجتمعه وشريعته، وافدة مع الغزو العسكري على مدى القرنين الأخيرين من التاريخ الميلادي، وهما يبدءان من العاملين الأخيرين للقرن الميلادي الثامن عشر، ومع الجيش الغازي جيوش من الغزو الفكري لكل مرفق من المرافق، تنزح الأموال إلى خارج أرض المسلمين، وتفسد أسباب التقدم ولا تعبأ بالتعليم، وتغلب مصالح الأجانب على المصريين، وتحاول تدويل مصر أو تفرض الحماية عليها، ومع ذلك ضربت مصر الأمثال للعلم بتحطيم قيود الاستعمار في أعقاب الحرب العالمية الأولى بثورة سنة ١٩١٩، وكررت انتصارها على الاستعمار في أعقاب الحرب العالمية الثانية بثورة سنة ١٩٥٢، وبمصر اقتدت دول العالم الثالث كافة، وبانتصار العاشر من رمضان ١٣٧٣ هـ (أكتوبر ١٩٧٣م) يبدأ العصر الجديد، ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّـهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً (٣)**﴾ [٢].

عبد الحليم الجندي

---

(٢) سورة الطلاق: الآية ٣.

obeikandl.com